﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: 249]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تحدَّثتِ الآياتُ السّابقةُ عن اختيار الله لهم مَلِكاً يقاتلون معه وَفْقَ طلبهم ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية، وجاءتهم الإجابة من نبيِّهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾، ولكنَّهم أبَوا واعترضوا؛ لأنَّه لم يؤتَ سَعَةً من المال، ولكنَّ نبيَّهم أسكتَهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾، وأعطاه ما يُؤهِّلُه لذلك من البَسْطة في العلم والجسم، ومع ذلك لم يطمئِنَّ القومُ إلى ما أخبرهم به نبيُّهم عن هذا المَلِك: (طالُوت)، فجاءهم نبيُّهم بآية محسوسة تكون دليلاً على اصطفاء الله له، وهو التّابوت الّذي افتقدوه من زمن بعيد، فآمنوا وصدَّقوا، ورضُوا بطالُوتَ مَلِكاً، فجاءت هذه الآيةُ لِتَضَعَهم أمامَ تَجْرِبَةٍ حِسِّيَّةٍ، اختبرَ فيها طالُوتُ ولاءَهم له، والانْضِواءَ تحت قيادته بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ الآية.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَصَلَ﴾: فِعْلٌ ماضٍ ثُلاثيٌّ صحيحٌ، فالفاءُ والصّادُ واللّامُ: كلمةٌ صحيحةٌ تَدُلُّ عَلَى تمييز الشَّيء من الشَّيء، وإبانَتِهِ عنه، يُقالُ: فَصَلْتُ الشَّيْءَ فَصْلًا[1]، والفَصْلُ: بُعْدٌ بين الشَّيئَينِ[2]، وفَصَلَ فُلانٌ من عندي فُصولًا: إذا خَرَجَ[3]، فأفادَ هنا معنى الخروج، وفَصَلَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فصل).
(2) الخليل، العين: (فصل).
(3) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة: (فصل).

القومُ عن مكان كذا وانْفَصَلوا: فارَقُوهُ[1]، و﴿فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾: فارَقَ مكانَه ومركزَه الّذي كان فيه[2]، وانْفَصَلَ من مكان إقامته، بادئًا المسيرَ بجيشه[3].

فمعنى ﴿فَصَلَ﴾ هنا: بمعنى فارَقَ مكانَهُ، وخرجَ بجيشه لقتال عدوِّه.

2) ﴿طَالُوتَ﴾: مَلِكُ بني إسرائيل، وهو اسمٌ أعجميٌّ ليس بعربيٍّ[4]، وأَبْعَدَ مَنْ زعم أنَّه عربيٌّ على وزن (فالوْتَ)، جاء للمبالغة بطُوله، فقيلَ: (طالوْت)[5].

وهو اسم المَلِك الّذي اختارَه اللّه لبني إسرائيلَ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾.

3) ﴿مُبْتَلِيكُم﴾: اسم فاعل من الفعلِ الرُّباعيِّ (ابْتَلَى)، ويعودُ هذا اللَّفظُ بجَذْره اللُّغويِّ إِلَى مادَّة: (بَلَوِي)، وفيها: الباءُ واللّامُ والواوُ والياءُ، أصلان، أحدُهما: إخلاقُ الشَّيءِ، والثّاني: نوعٌ من الاختبار، ويُحمَلُ عليه الإخبارُ أيضًا، وقولُهم: بُلِيَ الإنسانُ وابتُلِيَ، وهذا من الامتحان، وهو الاختبارُ[6]، وبُلِيَ الإنسانُ وابتُلِيَ: إذا امتُحِنَ، والبَلاءُ: في الخير والشَّرِّ، واللَّه يُبْلي العَبْدَ بَلاءً حسناً وبَلاءً سيِّئاً، والبَلْوى: هي البَليَّة، والبَلْوى: التَّجْربة، بَلَوْتُه أَبْلُوه بَلْواً[7]، وبَلَوْتُهُ: أَي اختبرتُه[8]، وسائرُ ما في التَّركيب من الفعل (بَلا يَبْلو)، أو الاسم (بَلاءً)، أو اسم الفاعل (مُبْتَلٍ): فهو بمعنى الشِّدَّةِ مع الاختبار[9]، ومعنى الامتحانِ هو المعنى المرادُ هنا؛ لأنَّ اللّه تعالى امتَحَنَ طاعةَ القومِ، فيكون معنى: ﴿مُبْتَلِيكُم﴾: مُمتحنُكم ومُختبرُكم.

4) ﴿بِنَهَرٍ﴾: اسمٌ مشتقٌّ من الفعل (نَهَرَ)، يُقالُ: نَهَرَ يَنْهَرُ نَهْرًا، فالنّونُ والهاءُ والرّاءُ: أصلٌ صحيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَفَتُّحِ شيْءٍ أو فَتْحِهِ، وسُمّيَ النَّهْرُ: لأنَّهُ يَنْهَرُ الأرضَ، أيْ: يَشُقُّها[10]،

(1) الرّاغب، المفردات: (فصل).
(2) السَّمين، عُمدة الحفاظ: (فصل).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فصل).
(4) ابن دريد، جمهرة اللُّغة: (باب: ما جاء على فيعال).
(5) السَّمين الحلبيّ، عمدة الحفاظ: (طول).
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بلوي).
(7) الخليل، العين: (بلو).
(8) الرّاغب، المفردات، والسَّمين، عمدة الحفاظ: (بلو).
(9) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بلو).
(10) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نهر).

وفيه لغتان: النَّهَرُ، بفتح الهاء، والنَّهْرُ، بسكونها، والجمعُ: نُهُرٌ وأَنْهارٌ[1]، فالنَّهْرُ والنَّهَرُ: مجرى من مجاري المياه[2]، وهو الشَّقُّ الواسعُ الّذي يجري فيه الماءُ[3]، ونَهَرَ الماءَ، كفَتَحَ: جرى في الأرض، وجعل لنفسه نَهرًا، وكُلُّ كثيرٍ جرى فقد نَهَر[4].

فالنَّهَرُ هنا: الشَّقُّ من الأرض، يجري فيه الماءُ.

5) ﴿يَطْعَمْهُ﴾: فعلٌ مضارعٌ مُشتَقٌّ من الثُّلاثيِّ: (طَعِمَ)، والطّاءُ والعينُ والميمُ: أصلٌ مُطَّرِدٌ مُنْقاسٌ في تَذَوُّقِ الشَّيءِ، يُقالُ: طَعِمْتُ الشَّيءَ طَعْماً، والطَّعامُ: هو المأكولُ، ثمَّ يُحمَلُ على باب الطَّعام استعارةً ما ليس من باب التَّذَوُّقِ، فيُقالُ: اسْتَطْعَمَني فُلانٌ الحديثَ؛ إذا أرادكَ على أنْ تُحَدِّثَهُ، والإطعامُ يقعُ في كلِّ ما يُطْعَمُ، حتّى الماءَ، قال اللّه تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾[5].

والطَّعْمُ: طَعْمُ كُلِّ شَيءٍ، وهو ذَوْقُهُ، وقَولُ العربِ: "مُرُّ الطَّعْمِ، وحُلْو الطَّعْمِ" معناهُ: الذَّوْقُ، لأنّكَ تقولُ: اطْعَمْهُ، أي: ذُقْهُ، ولا تُريدُ به امْضَغْه، كما يُمْضَغُ الخُبزُ، وهكذا في القرآن: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾، فجَعَلَ ذَوْقَ الشَّرابِ طَعْماً، فنهاهم أن يأخُذوا منه إلّا غُرْفةً، وكان فيها رِيُّ الرّجلِ، وريُّ دابَّتِه[6]، فمعنى ﴿يَطْعَمْهُ﴾ هُنا: يَذُقْهُ.

6) ﴿ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾: هذه اللَّفظةُ مُشتقَّةٌ من الفعلِ الثُّلاثيِّ: (غَرَفَ)، والغينُ والرّاءُ والفاءُ: أصلٌ صحيحٌ، إلّا أنَّ كَلِمَهُ لا تَتْقاسُ، بل تَتَبايَنُ، فالغَرْفُ: مصدرُ غَرَفْتُ الماءَ وغيرَهُ أَغْرِفُهُ غَرْفًا، والغُرْفَةُ: اسْمُ ما يُغْرَفُ[7]، والغَرْفُ: غَرْفُكَ الماءَ باليدِ وبالمِغْرَفَةِ، والغَرْفةُ: قَدْرُ اغْترافِكَ، مِثْلَ الكَفِّ، والغَرْفَةُ: مرَّةً واحدةً[8]، وغَرَفْتُ الماءَ بيَدي غَرْفًا، واغْتَرَفْتُ منهُ غَرْفَةً وغُرْفَةً.

فالغَرْفَةُ: المرّةُ الواحدةُ، والغُرْفَةُ بالضَّمِّ: اسمٌ للمفعول منه، لأنَّكَ مالم تَغْرِفْهُ لا تُسمّيهِ غُرْفَةً[9]، فالغُرْفَةُ هنا: مَلْءُ اليدِ ماءً، تناوُلًا من مَقَرٍّ عميقٍ[10].

---

(1) الخليل، العين: (نهر).
(2) ابن سِيده، المحكم: (نهر).
(3) الرّاغب، المفردات، والسَّمين، عمدة الحفاظ: (نهر).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (نهر).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طعم).
(6) الخليل، العين: (طعم).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (غرف).
(8) الخليل، العين: (غرف).
(9) الجوهريّ، الصّحاح: (غرف).
(10) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (غرف).

7) ﴿جَاوَزَهُۥ﴾: جَذْرُ الفعلِ (جاوَزَ)، وأصلُه مادَّةُ: (جَوَزَ)، والجيمُ والواوُ والزّاءُ أصلانِ: أحدُهما: قَطْعُ الشَّيْءِ، والآخَرُ وسَطُ الشَّيْءِ، وجُزْتُ المَوضِعَ: سِرْتُ فيهِ، وأَجَزْتُهُ: خَلَفْتُهُ وقَطَعْتُهُ[1]. وتَقولُ: جُزْتُ الطَّريقَ جَوازًا ومَجازًا وجُؤوزًا، وجاوَزْتُه جوازًا: جُزْتُهُ[2]، وجُزْتُ الشَّيءَ أَجُوزُه: إذا قَطَعْتُهُ[3]، وجُزْتُ المَوضِعَ أَجُوزُهُ جَوازًا: سَلَكْتُهُ وسِرْتُ فيهِ[4]، وجاوَزَهُ: تَجاوَزَ جَوْزَهُ[5]، وجاوَزَهُ: تَعدّاهُ[6]، فجاوَزَهُ هنا بمعنى: سارَ فيهِ وسَلَكَهُ[7].

8) ﴿ءَامَنُواْ﴾: أصلُ الأَمْنِ: طمأنينةُ النَّفْسِ، وزوالُ الخوف، آمن: إنّما يُقال على وجهين، أحدهما: مُتعدِّياً بنفسه، يُقال: أَمَّنْتُهُ، أي: جعلْتُ له الأَمْنَ، والثّاني: غيرُ مُتَعَدٍّ، ومعناه: صار ذا أمن، والإيمان: يُستعمَلُ تارةً اسماً للشَّريعة الّتي جاء بها محمّد ﷺ، ويوصَف به كلُّ مَنْ دخل في شريعته مُقِرًّا باللّه وبنبوَّته، وتارةً: يُستعمَلُ على سبيل المدح، ويُراد به إذعان النَّفْس للحقِّ على سبيل التَّصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياءَ: تحقيق بالقلب، وإقرار باللِّسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح[8].

9) ﴿طَاقَةَ﴾: جَذْرُ المفردةِ اللُّغويُّ (طَوَق)، والطّاءُ والواو والقاف: أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على دَوران الشَّيء على الشَّيء، فكُلُّ ما اسْتَدارَ بشيءٍ فهو طَوْقٌ، فأمّا قولُهم: أَطاقَ هذا الأمرَ إطاقَةً، وهو في طَوْقِهِ، وطَوَّقْتُكَ الشَّيءَ: إذا كَلَّفْتُكَهُ، فكُلُّه من الباب وقياسِه؛ لأنَّه إذا أَطاقَهُ فكأنَّه قد أحاط به، ودار به من جوانبه[9]، والطّاقَةُ: القوَّةُ على الشَّيء[10]، والطّاقَةُ: القُدْرةُ على الشَّيء[11]، وهي غايةُ مَقدرة القادر، واستفراغُ ما في وُسعه في المقدور، يُقالُ: هذا طاقتي، أي: قَدْرُ إمكاني[12]، والطّاقةُ أيضًا: اسمٌ لمقدارِ ما يمكن للإنسان أن يفعلَه

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جوز).
(2) الخليل، العين: (جوز).
(3) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (جوز).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (جوز).
(5) الرّاغب، المفردات: (جوز).
(6) السّمين، عمدة الحفاظ: (جوز).
(7) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (جوز).
(8) الرّاغب، المفردات: (أمن).
(9) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طوق).
(10) ابن الأنباريّ: الزّاهر: 1/476.
(11) ابن سيده: المخصّص: 1/194.
(12) العسكريّ: الفروق اللّغوية: ص: 110.

بمشقَّةٍ[1]، والطّاقَةُ والطّوْقُ والإطاقَةُ: القُدْرةُ على الشَّيءِ، بجامع ما يَضُمُّهُ بَدَنُهُ منْ قوَّةٍ على الإحاطة بالشّيء، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾[2]، فمعنى قول أصحاب طالُوتَ: لا قُدرَةَ لنا على مواجهتهم.

10) ﴿بِجَالُوتَ﴾: اسمُ مَلِكٍ جبّارٍ طاغٍ، رماهُ داودُ، عليه السلام، فقَتَلَهُ[3]، وفي جالُوتَ قولانِ، أظهرُهما: أنَّه أعجميٌّ لا اشتقاقَ له، فلذلكَ مُنِعَ منَ الصَّرْفِ للْعَلَميَّةِ والعُجْمَةِ، والثّاني: أنّه مُشْتَقٌّ مِنْ: جالَ، ووَزْنُهُ: فَعَلُوت، كَ: رَهَبُوت، والأصلُ: جَوْلُوت؛ فقُلِبَتِ الواوُ ألفًا، وهذا ليسَ بشيءٍ[4]؛ لأنَّ طالُوتَ وجالُوتَ ليس بكلامٍ عربيٍّ، وإنْ جاءَ في التَّنزيلِ[5].

11) ﴿يَظُنُّونَ﴾: فعلٌ مُضارعٌ مِنْ ظَنَّ الماضي، و (ظَنَّ): أصلٌ صحيحٌ يَدُلُّ على معنيَينِ مُختلفَينِ: يقينٍ وشكٍّ، فأمّا اليقينُ: فقولُ القائلِ: ظَنَنْتُ ظَنًّا، أيْ: أَيْقَنْتُ، والأصلُ الآخَرُ: الشَّكُّ، يُقالُ: ظَنَنْتُ الشَّيْءَ، إذا لم تَتَيَقَّنْهُ، ومِنْ ذلكَ الظِّنَّةُ: التُّهَمَةُ، والظَّنينُ: المُتَّهَمُ[6]، فالظَّنُّ في كلام العرب جاء على هذَينِ المعنيَينِ: اليقينِ، والشَّكِّ[7]، وهو اسم لما يحصل عن أمارة، ومتى قويت أدّت إلى العلم، ومتى ضعفت جدّا لم يتجاوز حدّ التّوهّم[8]، ويأتي الظَّنُّ في القرآن بمعنى العلم والاعتقاد، وعلى هذا يكونُ معنى قولِه تعالى: ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾: يعتقدون أنَّهم مُلاقو اللهِ، فيُفَسَّرُ الظَّنُّ هنا بالاعتقادِ، وهو الدَّرجةُ العُليا من الظَّنِّ[9].

12) ﴿مُّلَٰقُواْ﴾: أصلُه: (مُلاقُونَ)، سقطت منه النّونُ بسبب الإضافةِ، وهو جمع مُذكَّر سالم لِمُلاقٍ: اسم فاعل مِنْ (لَاقَى)، وجَذْرُهُ: (لَقِيَ)، واللّامُ والقافُ والحرفُ المعتلُّ، الياء هنا، أصولٌ ثلاثةٌ: أحدُها: يَدُلُّ على العِوَجِ، والآخَرُ: على تَوافي شيئَينِ، والآخرُ: على طرْحِ شيْءٍ، والمعنى الثّاني: هو المُرادُ هنا، وهو المُلاقاةُ[10]، فكُلُّ شيءٍ من الأشياء إذا استقبلَ

(1) الرّاغب، المفردات: (طوق).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (طوق).
(3) الرّاغب، المفردات: (جال).
(4) السّمين، عمدة الحفاظ: (جلت).
(5) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (ما جاء على فيعال).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ظنّ).
(7) الخليل، العين: (ظنّ).
(8) الرّاغب، المفردات: (ظنّ).
(9) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (ظنّ).
(10) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لقي).

شيئًا أو صادَفهُ فقد لَقيَهُ[1]، ولاقاهُ مُلاقاةً ولِقاءً: قابَلَهُ وصادَفَهُ، ولاقى اللّهَ: صار إلى حِسابِه[2]، وهو المعنَى الّذي يُناسبُ السِّياقَ هنا.

13) ﴿فِئَةِ﴾: الفاءُ والهمزةُ مع معتلٍّ بينهما: كلماتٌ تدلُّ على الرُّجوعِ، يُقالُ: فاءَ الفَيْءُ: إذا رَجَعَ الظِّلُّ من جانب المغرب إلى جانب المشرق، وكُلُّ رُجوعٍ فَيْءٌ[3]، والفِئَةُ: طائِفَةٌ من النّاس[4]، والفِئَةُ: الجماعةُ من النّاس، يَفيئُونَ إلى الرَّئيسِ، أي: يرجِعون إليه[5].

والفِئَةُ: الفِرْقَةُ مِنَ النّاسِ[6]، والفِئَةُ: الطّائفةُ[7]، والفِئَةُ: الجماعةُ المتظاهرةُ الّتي يرجعُ بعضُهم إلى بعضٍ في التَّعاضُد[8]، وهذا هو المعنى المناسبُ للسّياقِ هنا.

14) ﴿غَلَبَتْ﴾: أصلُ غَلَبَتْ: أنْ تتناوَلَ وتُصيبَ غَلَبَ رَقَبَتِه، والغَلَبَةُ: القَهْرُ، ويُقال: غَلَبْتُهُ غَلْباً وغَلَبَةً وغَلَباً، فأنا غالِب، قال تعالى: ﴿يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ﴾ [الأنفال: 65]، وقال تعالى: ﴿يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَا﴾ [الأنفال: 65][9].

والمعنى هنا: قَهَرت عند المحاربة.

15) ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾: والإِذْنُ في الشّيء إعلامٌ بإجازته والرُّخصة فيه، نحو: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: 64] أي: بإرادته وأمره، ومِنْ ذلك قولُه: ﴿وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ [المجادلة: 10] أي: بعلمه، لكنْ يوجد فَرْقٌ بين العلم والإِذْن؛ فالإِذْن أَخَصُّ، ولا يكاد يُستَعمل إلّا فيما فيه مشيئة ما، ضامَّه الأمر أم لم يضامَّه؛ فإنَّ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: 100] فمعلومٌ أنَّ فيه مشيئتَه وأمرَه، وقوله: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: 102] ففيه مشيئتُه من وجه[10].

والمعنى هنا: بحُكْمه وتيسيره.

---

(1) الخليل، العين: (لقي).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (لقي).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فأ).
(4) الخليل، العين: (فأو).
(5) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (فيأ).
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (فأى).
(7) الجوهريّ، الصّحاح: (فأ).
(8) الرّاغب، المفردات: (فيأ).
(9) الرّاغب، المفردات: (غلب).
(10) الرّاغب، المفردات: (أذن).

16) ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: الصَّبرُ: الإمساكُ في ضِيق، ويُقال: لحبس النَّفْس على ما يَقتضيه العقلُ والشَّرعُ، أو عمّا يَقتضيان حبسَها عنه؛ فالصَّبرُ لفظٌ عامٌّ، وله إطلاقاتٌ بحَسَب اختلاف سياقه[1].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

عندما تملَّك طالوتُ ببني إسرائيل واستقرَّ له المُلْك فيهم، تجهَّز هو ومن معه لقتال أعدائهم العمَالقة، فلمَّا خَرَجَ طالوتُ بالجنودِ عن البلدِ، قال لِمَنْ معه مِن بني إسرائيلَ: إنَّ اللَّه مختبرُكم بِنَهَرٍ، أمامكم تعبرونه؛ ليتميَّز المؤمن من المنافق، فمن شرب منكم من ماء النهر فليس من أهل ديني، ولا على طريقتي، ولا يصلح للجهاد معي، ولا يُصاحِبُني في قتالٍ، ومن لم يذق الماء فإنه مني وعلى طَريقتي؛ لأنه مطيع لأمري وصالح للجهاد، ويُصاحِبُني في القتالِ، إلا مَن ترخَّص واغترف غُرْفة واحدة بيده فلا لوم عليه، فلما وصلوا إلى النهر انكبوا على الماء، وأفرطوا في الشرب منه، إلا عددًا قليلًا منهم صبروا على العطش والحرِّ، واكتفَوْا بغُرْفة اليد، وحينئذ تخلَّف العصاة. فلمَّا عبر طالوت النهر هو والقِلَّةُ المؤمنةُ معه - وهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا - لملاقاة العدو، ورأوا كثرة عدوهم وعدَّتهم، قالوا: لا قدرة لنا اليوم بجالوت وجنوده الأشداء، عِنْدَئِذٍ أجاب الذين يوقنون بلقاء اللَّه - يُذَكِّرون إخوانهم باللَّه وقدرته - قائلين: كم من جماعة قليلةِ العَدَدِ مؤمنة صابرة، غلبت - بإذن اللَّه وأمره وعونِه - جماعة كثيرةَ العَدَدِ كافرة باغية. واللَّه مع االصّابرينَ مِنْ عِبادِهِ، يُؤَيِّدُهم ويَنصُرُهُم بتوفيقه[2].

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بلاغةُ العطفِ بالفاءِ في الرَّبطِ بين الجمل:

التَّنبيه على وجودِ محذوفٍ مفهومٍ من السِّياق

عُطفت بالفاء للدَّلالة على وجود كلام مُقَدَّر بين هذه الآية والسّابقة عليها، وهو الرِّضا بالمَلِك، ومجيءُ التّابوت، وتجنيدُ الجنود، فكُلُّ ذلك تَمَّ قبل أن يَخرُجَ (طالُوت) بالجنود[3].

(1) الرَّاغب، المفردات: (صبر).

(2) نخبة من العلماء، التّفسير الميسّر: ص: 41، وجماعة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم: ص: 41.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/495.

والتَّركيزُ على المقصود الأهمِّ لأخذ العبرة مِنْ طالُوتَ وجنوده، ومدى صبرهم، وتَحمُّلِهم مشاقَّ الابتلاءِ في سبيل نُصرة الحقِّ.

سبق القرآن إلى العصف الذّهنيّ

تمتازُ الفاءُ من بين حروف العطف بكثرةِ الحَذْف معها، ودليلُ ذلك: كثرةُ ورودها في القَصَص القرآنيِّ، وذلك لِطَيِّ كثيرٍ من الأحداث اعتماداً على فَهْم السّامع من خلال قراءة الآيات، والّذي معنا هنا في قصّة طالُوت هو عَينُ ذلك المطلوب، من الاعتماد على فَهم السّامع، وإيقاظ الفِكْر عندَه، وهذا منهجٌ قرآنيٌّ يجب التَّنبيه عليه في المراحل التَّعليمية بدلاً من التّلقين فقط.

المُهْلَةُ معَ ترتيبِ الأحـــداثِ من معاني الفاءِ

أفادتِ الفاءُ في قوله: ﴿فَلَمَّا﴾: العطفَ والتَّعقيبَ والمُهْلَةَ، وعطفَ المُفَصَّلِ علَى المُجْمَلِ[1]، وهو هنا: أَفادَ هذه المعاني بِدِقَّةٍ، ويَظْهَرُ ذلكَ مِنْ سياقِ القِصَّةِ؛ فخُروجُ القوم مع طالُوتَ جاءَ بعد أَخْذٍ ورَدٍّ، وتَفكيرٍ وتَرَوٍّ، فاخْتَصَرَتِ الفاءُ ما فُصِّلَ قبل هذه الآية، وعَطَفَتْهُ على ما أُجْمِلَ هنا، مع مُراعاةِ التَّعقيبِ على القِصَّةِ والمُهْلَةِ الّتي احْتاجوها قبل اتِّخاذِهم قرارَهم النِّهائيَّ بالخروجِ.

سرُّ التَّعبيرِ بفعل الفصلِ دون غيرِه من الأفعال:

يـوحـي فـعـلُ (فـصـل) بقطعِ الصِّلةِ مع حياةِ الذُّلِّ والهوان

جاءَ التَّعبيرُ بالفعل ﴿فَصَلَ﴾ دون غيره من الأفعالِ كَفعل (خَرَجَ) مثلاً؛ لأَنَّ المعنى الّذي في ﴿فَصَلَ﴾ لا يُؤدّيهِ الفعلُ (خَرَجَ)، وإن كان مُتَضَمِّنًا مَعناهُ، فالفَصْلُ هنا: القَطْعُ والبُعْدُ والمُفارَقَةُ، وعَدَمُ الرُّجوعِ إلى ما كان عليه الحالُ؛ لأَنَّ مَقامَ الحربِ والجهادِ في سبيلِ الحقِّ يَتَطَلَّبُ قَطْعَ الصِّلَةِ مع الباطِلِ وأهلِه بِصُورِها كافَّةً، وقَطْعَ الصِّلَةِ بماضي الذُّلِّ والهَوانِ، والبُعدَ عنه، ومُفارقَتَهُ، وهذه الصِّفاتُ هي الّتي يَجِبُ أن يَتَّصِفَ بها المُجاهِدُ في سبيلِ اللّهِ والحقِّ، الخارجُ لِنُصْرَةِ دِينِ اللّهِ وعِزَّتِهِ.

(1) المراديّ، الجنى الدّاني: ص: 62-61.

وهي مَعانٍ لم يَتَضَمَّنْها الفِعْلُ (خَرَجَ)، ولا غيرُه، وهذه المعاني على الإطلاق العامِّ فى مادّة (فصل)؛ فما ذُكر في هذه المعاني السّابقة يَنطبِقُ على يوم الفَصْل وهو يوم القيامة؛ لأنّه يَفْصِلُ بين أهل الإيمان وأهل الكفر.

بـنـاءُ الـقـيـمِ الـتَّربـويّـة استعدادًا للنَّصرِ العسكريِّ

أمّا ما يخصُّ سياقَ الآية فله معنىً آخرُ، عنوانُه: (قطع الصِّلة بين الحياة المدنيّة والحياة العسكريّة).

وعلى هذا فالمرادُ هنا: تربيةُ الجنود، وهذا معنى مُهِمٌّ في العسكريّة، وذلك بفَصْلهم عن الحياة المدنيّة بما فيها من حياة التّرفيه والملذّات والشّهوات إلى الحياة العسكريّة، ولا تتأتّى إلّا بانقطاعهم عن كلِّ ذلك في معسكرٍ، خارجَ البيئة التي يعيشون فيها، ولذلك تَروي بعضُ كتب التَّفسير، أنَّ طالُوت قال: لا يخرُجْ معي رجلٌ بنى بناءً لم يفرُغ منه، ولا صاحبُ تجارة يَشتغِلُ بها، ولا رجلٌ عليه دَينٌ، ولا رجلٌ تزوَّجَ امرأةً، ولم يَبنِ بها[1].

إذاً لا يريدُ إلا الشّبابَ النَّشيطَ الّذي انقطع عن كلِّ سببٍ يؤثر على انشغاله بالجهاد والقتال، انظر إلى دقَّة القرآن الكريم في اختيار اللَّفظ الّذي يحملُ هذه الدَّلالاتِ في التَّربية العسكريّة.

بلاغةُ تعديةِ الفعلِ ﴿فَصَلَ﴾ بحَرْفِ (البَاءِ):

القائدُ المخلصُ هو القريبُ من الجنودِ، الملاصقُ لأحـوالِـهـم وأعمالِهم

دلَّ حرفُ الجرِّ (الباءُ) في قوْلِه تَعالى: ﴿بِٱلْجُنُودِ﴾ على لَطِيفَةٍ دَقِيقَةٍ، وبيانُ ذلك أنَّ هذا الحَرْفَ وهو مِنْ حُروفِ المَعاني، مُخْتَصٌّ بالاسْم، ولَهُ مَعانٍ كَثِيرَةٌ، مِنْها: الإلْصاقُ، وهوَ أَصْلُ مَعانيه، والإلصاقُ: حَقِيقيٌّ، نَحْوَ: أَمْسَكْتُ الحَبْلَ بيَدي، ومَجازيٌّ، نَحْوَ: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ[2]، ومَعْنَى الإلصاقِ هُنا هوَ أَكْثَرُ مَعاني الباءِ مُناسَبَةً لِلسّياقِ، فكأنَّ طالُوتَ لَمّا فصَلَ عن دِيارِهِ وسارَ بِجَيْشِه للقِتالِ

(1) البغويّ، معالم التّنزيل: 1/301.
(2) المراديّ، الجنى الدّاني: ص: 36.

والمناجزَةِ، اقْتَرَبَ مِنْ جُنودِه كَثيرًا، واخْتَلَطَ بِهِمُ اخْتِلاطَ القائِدِ الّذي يريدُ الانْدِماجَ مَعَ جنودِه، وإزالة الفَوارقِ بينَه وبينهم، حَتَّى التَصَقَ بِهِمُ التِصاقًا مَجازيًّا، ليُشارِكَهم مَشاقَّ السَّفَرِ والطَّريقِ، مِنْ تَعَبٍ ونَصَبٍ، وظمأٍ وعَطَشٍ، ويُرَبّي فيهِم رُوحَ الجُنْديَّةِ والطّاعَةِ والاسْتِبْسالِ في سَبيلِ تَحقيقِ النَّصْرِ. ومُلاصَقَتُهُ لهم كَشَفَتْ لَهُ كثيراً من أَسرارِ الجنودِ وأَحوالِهم، فعَرَفَ أَنَّ في جُنْدِه المؤمنَ الشُّجاعَ الصّادقَ، والمنافقَ الجبانَ الكاذبَ، فقَرَّرَ الفَصلَ بَيْنَ الفَريقينِ والتَّمييزَ بَيْنَهما، وذَلِكَ باخْتِبارِهم بالنَّهْرِ، وعَدَمِ الشُّربِ منه، وهُمْ في قِمَّةِ الظّمأِ والحاجَةِ إلى الماءِ.

سِرُّ التَّعبير بلفظِ الجنود:

معالم الجُنديّة تتَّسمُ بالصَّلابةِ والشِّدَّة والثَّبات

جاء التَّعبيرُ في قوله تعالى: ﴿بِٱلْجُنُودِ﴾ دون المقاتلين أو الجيش؛ لأنَّ مفردةَ الجند تحملُ في طيّاتها بعضَ صفات الجنديّة، الّتي يجب أن تتوفَّر في الشَّخص الّذي يخرج للقتال في سبيل الله، وعلى رأسها القوَّةُ والشِّدَّةُ، وهذا ما يُفهم من بُنية الكلمة اللُّغويّة، فهي مأخوذةٌ من الجَنَد، وهي: الأحجار الغليظة في الأرض، فالأحجار تحملُ معنى الصَّلابةِ والشِّدَّةِ والثَّبات، وهذا هو البنيانُ العسكريُّ للجند.

فائدةُ إسنادِ الابتلاءِ إلى الله تعالى:

الحكمةُ أصلٌ في القيادةِ الرَّشيدةِ

أُسنِد الابتلاءُ إلى الله تعالى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾؛ ليكتسب الابتلاءُ صفةً شرعيَّةً، فهو وحيٌ من الله تعالى، وبنو إسرائيل طبيعتُهم قائمةٌ على التَّمرُّدِ والعصيانِ؛ فلو أمرهم بما جاء في مضمون الابتلاءِ وهو عدمُ الشُّرب من النَّهر، لوقعوا في المعصيةِ والجدال والنشوز، وفي ذلك اختصارٌ للوقتِ وكسبٌ للجهدِ، ودفعٌ للفتنةِ، وهو من الحكمة البالغةِ، وفي حِكْمَةِ هَذا الابْتِلاءِ وجْهانِ:

الْأَوَّلُ: كانَ مَشْهورًا مِنْ بَني إِسْرائيلَ أَنَّهُمْ يُخالِفونَ الأَنْبياءَ والمُلوكَ مَعَ ظُهورِ الآياتِ الباهِرَةِ، فأَرادَ اللَّهُ تَعالَى إِظْهارَ عَلامَةٍ قَبْلَ

لِقاءِ العَدوِّ، يَتَمَيَّزُ بِها مَنْ يَصْبِرُ عَلَى الحَرْبِ، مِمَّنْ لا يَصْبِرُ؛ لِأَنَّ الرُّجوعَ قَبْلَ لِقاءِ العَدوِّ لا يُؤَثِّرُ كتأثيرِهِ حالَ لِقاءِ العَدوِّ، فلَمّا كانَ هذا هوَ الصَّلاحَ قَبْلَ مُقاتَلَةِ العَدوِّ، لا جَرَمَ قالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾، والثّاني: أَنَّهُ تَعالَى ابْتَلاهُمْ، ليَتَعَوَّدوا الصَّبْرَ عَلَى الشَّدائِدِ[1].

معنى الابتلاءِ والمقصود منه:

تمحيصُ الجنودِ، وتمييزُ الأقوياءِ من غيرِهم

أُجريَ الابْتِلاءُ لاخْتِبارِ الجنودِ؛ فمَنْ ظَهَرَتْ طاعَتُهُ في تَرْكِ الماءِ، عُلِمَ أَنَّهُ مُطيعٌ فيما عَدا ذَلِكَ، ومَنْ غَلَبَتْهُ شَهْوَتُهُ في الماءِ، وعَصَى الأَمْرَ، فهوَ في العِصْيانِ في الشَّدائِدِ أَحْرَى، فرُوِيَ أَنَّهُمْ أَتَوُا النَّهَرَ، وقَدْ نالَهُمْ عَطَشٌ، وهوَ في غايَةِ العُذوبَةِ والحُسْنِ، فلِذَلِكَ رُخِّصَ لِلْمُطيعينَ في الغَرْفَةِ[2] ليَرْتَفِعَ عَنْهُمْ أَذَى العَطَشِ بَعْضَ الارْتِفاعِ، وليَكْسِروا نِزاعَ النَّفْسِ في هَذِهِ الحالِ، وبَيَّنَ أَنَّ الغَرْفَةَ كافَّةٌ ضَرَرَ العَطَشِ، عِنْدَ الحَزَمَةِ الصّابِرينَ عَلَى شَظَفِ العَيْشِ الَّذينَ هَمُّهُمْ في غَيْرِ الرَّفاهيَةِ[3]، وأيضاً: ليَعْلَمَ طالُوتُ مَنْ له نيَّةُ القِتالِ مَعَهُ، ومَنْ لَيْسَ لَهُ نيَّةٌ[4].

سرُّ إبهامِ اسمِ النَّهرِ:

لِلإبْهامِ أثرٌ كبيرٌ في توجيهِ المقصودِ

أَبْهَمَ اللهُ اسْمَ النَّهْرِ؛ لِعَدَمِ وجودِ فائدَةٍ كبيرةٍ في تَعْيينِهِ[5]، إِذِ القَصْدُ النَّهْيُ عَنِ الشُّرْبِ اخْتِبارًا وامتِحانًا لهم، وليسَ القصْدُ الشُّرْبَ من نَهَرٍ بعينِهِ، لِذا جاءَ النَّهَرُ نَكِرَةً، فقالَ: ﴿بِنَهَرٍ﴾، فالمَقامُ مَقامُ حَرْبٍ، وهوَ يَتَطَلَّبُ السُّرْعَةَ في تَبليغِ الأَوامرِ وتَنفيذِها، ولَيْسَ مَقامَ راحَةٍ وتَفصيلٍ[6].

---

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 6/509.

(2) أثبتَها القرطبيُّ، رحمه الله، في تفسيره: (غَرْفَةً) بفتح الغَين، على ما يوافقُ قراءةَ نافع، ولم أغيِّر ما كتبه، لأنَّ المعنى العامَّ على القراءتين واحد.

(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 3/251.

(4) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/330.

(5) وهذا أحد أسباب الإبهام في القرآن الكريم. يُنظر: السّيوطي، مفحمات الأقران: ص: 10.

(6) السّيوطي، مفحمات الأقران: ص: 21.

فائدةُ استعمالِ لفظ ﴿يَطْعَمْهُ﴾ دون غيره من الألفاظِ:

كـمـالُ اختـيـارِ النُّخبةِ عائدٌ إلى دقَّةِ الابتلاءِ

عبَّرَ القرآنُ الكريمُ بقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾، ولم يقل: (لَمْ يَذُقْهُ)، أو: لم يشرب منه، لأمورٍ:

أوَّلًا: لأنَّ نفيَ الطّعْمِ يستلزِمُ نفيَ الشُّربِ، بخلاف نفي الشُّرب فلا يستلزِمُ نفي الطّعْمِ[1].

ثانيًا: أَنَّ الإنْسانَ إذا عَطِشَ جِدًّا، ثُمَّ شَرِبَ الماءَ وأرادَ وصْفَ ذَلِكَ الماءِ بالطّيبِ واللَّذَّةِ قالَ: إنَّ هَذا الماءَ كأنَّهُ الجُلّابُ، وكأنّه عَسَلٌ، فيَصِفُهُ بالطُّعومِ اللَّذيذَةِ، فقَوْلُهُ: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ مَعْناهُ: أَنَّهُ وإنْ بَلَغَ بِهِ العَطَشُ إلَى حَيْثُ يَكونُ ذَلِكَ الماءُ في فمِهِ، كالمَوصوفِ بِهَذِهِ الطُّعومِ الطَّيِّبَةِ، فإنّه يَجِبُ عَلَيْهِ الاحْترازُ عَنْهُ، وأنْ لا يَشْرَبَهُ.

ثالثًا: أَنَّ مَنْ جَعَلَ الماءَ في فمِهِ وتَمَضْمَضَ بِهِ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنَ الفَمِ، فإنَّهُ يَصْدُقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ ذاقَهُ وطَعِمَهُ، ولا يَصْدُقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ شَرِبَهُ، فلَوْ قالَ: (وَمَنْ لَمْ يَشْرَبْهُ) فَإِنَّهُ مِنّي، كانَ المَنْعُ مَقْصورًا عَلَى الشُّرْبِ، أَمّا لَمّا قالَ: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ كانَ المَنْعُ حاصِلًا في الشُّرْبِ وفي المَضْمَضَةِ، ومَعْلومٌ أَنَّ هَذا التَّكْليفَ أَشَقُّ، وأَنَّ المَمْنوعَ مِنْ شُرْبِ الماءِ إذا تَمَضْمَضَ بِهِ، وجَدَ نَوْعَ خِفَّةٍ وراحَةٍ[2].

معنى حرفِ الجرِّ في قوله: ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾:

جاء التَّعبيرُ القرآنيُّ بـ (مِن) في قوله: ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾، لأنَّ معناها هنا التَّبعيضُ، وهو تبعيضٌ مجازيٌّ، كأنّه يجعل أتباعَه بعضَه، فالمعنى في قوله: ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾: أي ليس مُتّصلاً بي ولا عَلاقةَ بيني وبينه، سمّاها بعضُ النُّحاة بـ (مِنْ) الاتّصاليّة[3].

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 2/586.
(2) الرازي، التفسير الكبير: 6/510.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/497.

سِرُّ العُدولِ في المقابلات القرآنيَّة:

دفـــعُ إبـهـــامِ الأوهامِ، وتعيينُ المقصودِ بالأمرِ

قَالَ تعالى في أَوَّلِ الْآيَةِ: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ وما يقتضيه ظاهر النَّظم أَنْ يُقَالَ: (وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْ مِنْهُ)؛ ليَكُونَ آخِرُ الْآيَةِ مُطَابِقًا أَوَّلَهَا، إِلَّا أَنَّهُ تَرَكَ ذَلِكَ اللَّفْظَ، وَاخْتِيرَ هَذَا لِفَائِدَةٍ، وَهِيَ:

إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ ظَاهِرُهُ أَنْ يَكُونَ النَّهْيُ مَقْصُورًا عَلَى الشُّرْبِ مِنَ النَّهَرِ، حَتَّى لَوْ أَخَذَهُ بِالْكُوزِ وَشَرِبَهُ لَا يَكُونُ دَاخِلًا تَحْتَ النَّهْيِ، فَلَمَّا كَانَ هَذَا الِاحْتِمَالُ قَائِمًا فِي اللَّفْظِ الْأَوَّلِ ذَكَرَ فِي اللَّفْظِ الثَّانِي مَا يُزِيلُ هَذَا الْإِبْهَامَ، فَقَالَ: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ أَضَافَ الطَّعْمَ وَالشُّرْبَ إِلَى الْمَاءِ لَا إِلَى النَّهَرِ إِزَالَةً لِذَلِكَ الْإِبْهَامِ[1].

توجيه القراءاتِ القرآنيَّة:

أَثَـــرُ اخْـتِـلَافِ القِرَاءَاتِ فِي تَنَوُّعِ المَعْنَى وَإِثْرَائِه

غُرْفَةً، وغَرْفَةً: القِراءَةُ الَّتي عَلَيْها التَّفْسيرُ هُنا روايَةُ حَفْصٍ، من قراءَةِ عاصِمٍ، رَحِمَهُما اللّه، وهي بِضَمِّ الغَيْنِ: ﴿غُرْفَةً﴾، وبِها أَيْضًا قَرأَ: حَمْزَةُ والكِسائيُّ، وابْنُ عامِرٍ الشّاميُّ، ويَعْقوبُ وخَلَفُ العاشِرُ، وَقَرأَ: نافِعٌ وابْنُ كَثيرٍ، وأبو عَمْرٍو وأبو جَعْفَرٍ: ﴿غَرْفَةً﴾، بِفَتْحِ الغَيْنِ[2].

فقِراءَةُ الضَّمِّ: ﴿غُرْفَةً﴾ على مَعْنَى: اغْتَرَفَ بِكَفِّهِ، فصارَ كَفُّهُ إِناءً لِلْماءِ، ولم يَشْرَبْ مِنَ النَّهْرِ مُباشَرَةً، وقِراءَةُ الفَتْحِ: ﴿غَرْفَةً﴾: عَلَى مَعْنَى: مَرَّةً واحِدَةً لم يَزِدْ عَلَيْها، وتَضَمَّنَتْ مَعْنَى الاغْتِرافِ في قِراءَةِ الضَّمِّ، وزادَت عَلَيْها بَيانَ المَرَّةِ[3]، فالغُرْفَةُ: المغروفُ، والغَرْفَةُ: الفَعْلَةُ[4]، والغُرْفَةُ: مِقدارُ مِلءِ اليَدِ مِنَ المغروفِ، والغَرْفَةُ:

(1) الرازي، التفسير الكبير: 6/510.
(2) الدّاني، التّيسير: ص: 81، وابن الجزريّ، النّشر: 2/230.
(3) الفارسّي، الحجّة: 2/265، والأزهريّ، معاني القراءات: 1/215، وابن زنجلة، حجّة القراءات: ص: 140.
(4) الفرّاء، معاني القرآن: 2/190.

مرَّةً واحدةً باليدِ[1]. ويَتَّضِحُ عَلَى القِراءتَيْنِ: أَنَّ المَسْموحَ لَهم بِهِ هوَ الاغْتِرافُ باليَدِ، دونَ الكُروعِ مِنَ النَّهْرِ[2].

فكانَ في المُغْتَرِفِينَ مَنِ اسْتَوفَى الغَرْفَةَ، ومِنْهُم مَنْ لم يَسْتَوفِ، فكانَ فيهِ إيْذانٌ بِتَصْنيفِهم ثَلاثةَ أَصْنافٍ: مَنْ لم يَطْعَمْهُ البَتَّةَ، وأولئك الّذين ثَبَتُوا وظَنّوا أَنّهم مُلاقو اللّهِ، ومَنْ شَرِبَ مِنْهُمْ، وأولئكَ الّذين افْتُتِنوا وانْقَطَعُوا عَنِ الجِهادِ في سبيلِ اللّهِ، ومَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً، وَهُمُ الّذينَ ثَبَتوا وتَزَلْزَلوا، حَتَّى ثَبَّتَهُمُ الّذين لم يَطْعَموا[3].

أثرُ معنى الشُّرْبِ في تحديد نوعِ الاستثناءِ:

قَوْلُهُ تَعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةَۢ بِيَدِهِۦ﴾ استثناءٌ مِنَ الموصولِ الأَوَّلِ ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى﴾، أَوْ ضَميرِهِ في الخبرِ ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾؛ فإنْ فُسِّرَ الشُّرْبُ بالكُروعِ كانَ الاسْتِثْناءُ مُنْقَطِعًا، وإلّا كان مُتَّصِلًا.

فائدةُ تقديمِ الجملةِ على الاستثناءِ:

بيانُ تتمَّةِ الجملةِ الثّانية للأولى والنّهيُ عن الكروعِ

فائدَةُ تَقْديمِ الجملةِ الثّانيَةِ ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ على الاستثناءِ ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةَۢ بِيَدِهِۦ﴾: الإيذانُ بأنّها مِنْ تَتِمَّةِ الأولى، وأَنَّ الغَرَضَ مِنْها تَأْكيدُها وتَتْميمُها، نَهيًا عَنِ الكُروعِ مِنْ كُلِّ وجْهٍ، وإفادَةُ أَنَّ المُغْتَرِفَ لَيْسَ بذائقٍ حُكْمًا، فيُؤَكَّدُ تَرْخيصُ الاغْتِرافِ، ولَو أُخِّرَتْ لم تُفِدْ هَذِهِ الفَوائدَ[4].

وكذلك ليَقَعَ بَعْدَ الجُمْلَةِ الَّتي فيها المُستَثنى مِنْهُ مَعَ الجُمْلَةِ المُؤَكِّدَةِ لَها؛ لِأَنَّ التّأكيدَ شَديدُ الاتِّصالِ بالمُؤَكِّدِ، وقَدْ عُلِمَ أَنَّ الاسْتِثْناءَ راجِعٌ إِلَى مَنْطوقِ الأولى ومَفْهومِ الثّانيَةِ، فإنَّ مَفْهومَ ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾: أَنَّ مَنْ طَعِمَهُ لَيْسَ مِنْهُ، ليَعْلَمَ السّامِعونَ أَنَّ المُغْتَرِفَ غَرْفَةً بيَدِهِ، هوَ كَمَنْ لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ شَيْئًا، وأَنَّه لَيْسَ دونَ مَنْ لَمْ يَشْرَبْ في الوَلاءِ والقُرْبِ، ولَيْسَ هوَ قِسْمًا واسِطَةً، والمَقْصودُ مِنْ هَذا الاسْتِثْناءِ: الرُّخْصَةُ لِلْمُضْطَرِّ في بِلالِ ريقِهِ[5].

(1) السِّجستاني، غريب القرآن: ص: 353.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/587.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 3/428.
(4) الألوسّي، روح المعاني: 1/561.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/497.

فنُّ الاحتراسِ في قولِه: ﴿بِيَدِهِۦٓ﴾:

جاءَ التقيدُ في قَولِه تَعالَى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿بِيَدِهِۦ﴾ مَعَ أَنَّ الغَرْفَ لا يَكونُ إلّا باليَدِ؛ لِدَفْعِ تَوَهُّمِ أَنْ يَكونَ المُرادُ: تَقْديرَ مِقْدارِ الماءِ المَشْروبِ، فيَتَناوَلُهُ بَعْضُهُمْ كَرْهًا، فرُبَّما زادَ عَلَى المِقْدارِ، فجُعِلَتِ الرُّخْصَةُ الأَخْذَ باليَدِ[1]؛ قد يضطرُّ الجنديُّ للحفاظ على حياته أنْ يغترفَ من الماء غَرْفةً بيده، من أجل إبقاء حياته، وهذا قدْرٌ يسيرٌ جدّاً في شُرب الماء بيده مرَّةً واحدةً، وممّا يؤكِّدُ هذه الضّرورةَ قولُه: ﴿بِيَدِهِۦ﴾، فكانتِ احتراساً في تطبيق الضَّرورة، فلا توجد مساحة لغرف الماء بكوب أو نَحْوِه، وبذلك يكون التَّقييد باليد لتحديد مقدار المشروب، حتّى يمنعَ التّجاوز.

إزَالَةُ اللَّبْسِ وَالتَّوَهُّمِ في تقديرِ مقدارِ الشُّرب

دَلالةُ التَّعبير بالاستثناء في قوله تعالى: ﴿فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡ﴾:

لمّا قال طالُوتُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ﴾، أي: لا يَصِحُّ الشُّربُ منه؛ فمَنْ شرب منه ليس من جندي، ومع ذلك وقعوا في الشُّرب، الّذي هو من باب الكَرْعِ، فقدَّموا هواهم على أمر الله، وعصوا أمرَ قائدهم، وهذا من طبعهم إلّا القليلَ منهم، وهذا القليل دأبهم، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡ﴾، وهذا يُشعِرُ بأنَّ أكثريَّةَ بني إسرائيلَ وقعت في الشُّرب، والقليلُ هو الّذي لم يشرب، وذكرَ العلماءُ تحت القليل قسمين: أحدهما: لم يطعمه البتَّةَ، والثّاني: اغترف بيده على قَدْر الضّرورة.

التَّمرُّدُ والعصيان طبيعةٌ إسرائيليَّةٌ

سِرُّ التَّعبير بصيغةِ: (جاوز) دون (جاز):

آثرَ التَّعبيرُ الحكيمُ الفعلَ: (جاوز) الذي هو على صيغة (فاعَلَ)، الّتي تَدُلُّ على المبالغة فيما لاقاه الجيش، في صعوبة الوصول إلى

الدّلالة على تحمّل المصاعب لتحقيقِ الأهداف

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/498.

المكان الذي دارت فيه المعركةُ، بخلاف: (جاز)، فلا تَدُلُّ إلّا على الانتقال من مكان لآخرَ، دون مشقَّةٍ أو عناءٍ[1].

سرُّ ذكرِ ﴿ءَامَنُواْ﴾ في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾:

ادّعـاءُ الإيـمانِ غـيرُ كـافٍ في الـبرهـنـةِ على الإيمانِ

جاء التَّعبيرُ بهذا التَّركيب ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾، دون أن يقول: (والذين معه)؛ ليُنوِّه بشأنهم، وعلوِّ مكانتهم، وأنَّ من عداهم بمعزل عن الإيمان، فهم مع طالوت في أمرين؛ الأوّل: الإيمان، والآخر: الطَّاعة في الجهادِ، فهم من جهةٍ آمنوا، ومن جهةٍ أخرى صاحبوه في الجهاد، وهذا دليلٌ على أنَّ الإيمانَ النَّظريَّ القائمَ على الدَّعاوى لا يثبتُ في الواقعِ ما لم يُبرهن عليه بالأدلةِ العمليَّةِ.

ودَلَّت هذه المعيَّةُ على التّلاحم والتّكاتُف، وصدقِ العزيمة من أولئك الّذين ثبتوا ونجحوا في عدم الشُّرب من النَّهر، وهذا برهانٌ على صدق نيّاتهم، والتفافِهم حول راية الحقِّ.

وأيضاً: أنَّ الإيمان باللّه هو السَّببُ في حملهم في طلب العزّة، وتحمُّل المشاقِّ من أجلها، والصَّبر على الشّدائد لنَيلها، والطّاعة لوليِّ أمرهم[2].

سرُّ التَّعبيرِ بالطّاقة دون القوّة:

تصويرُ الحالةِ النَّفسيَّةِ لبني إسـرائـيـل عند ملاقاة العدوِّ

جاء التَّعبير بالطَّاقةِ في قولِه تعالى: ﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾؛ لأنَّ الطّاقة تُطلق على ما يفعله الإنسان بمشقّة، وتُطلق أيضاً للتّعبير عن أقصى الجهد، ونهايةِ الاحتمال والتحمّلِ، أو فيما يثقُل على الإنسان أداؤه[3]، وهذه المعاني لا تَرِدُ مع غير الطّاقة، ولذلك كان تعبيرُهم يدلُّ على وجود الإيمان منهم، وأنّهم لم يخرجوا من حظيرة الإيمان؛ لأنّ الأمرَ فوق طاقتهم فيما يظنُّون،

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/589.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 2/901.
(3) الدوري، دقائق الفروق، ص: 165.

فهذه المفردةُ صوَّرت الحالةَ النفسيَّةَ لبني إسرائيل عند ملاقاةِ جالوت وجنودِه، فثباتُهم وملاقاتُهم لجالوت دليلٌ على أنَّ الابتلاءَ قد تحقَّقت غايتُه، وهي الصَّبر والثَّباتُ عند الملاقاةِ.

سرُّ التَّعبيرِ بالظَّنِّ على مَعْنَى العِلْمِ واليَقِين:

مـدحُ المؤمنين والتَّعريضُ بغيرِهم

تَضَمَّنَ الظَّنُّ في قَوْلِه تَعَالَى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ مَعْنَى العِلْمِ واليَقين، فقَولُهُ تعالى: ﴿يَظُنُّونَ﴾ بمَعْنَى: يَعْلَمونَ ويوقِنونَ، وأُطْلِقَ لَفْظَ الظَّنِّ عَلَى اليَقين، عَلَى سَبيلِ المَجاز، لِما بَيْنَ الظَّنِّ واليَقين مِنَ المُشابَهَةِ في تأَكُّدِ الاعْتِقاد[1]، وهوَ المَعْنَى المُناسِبُ لِصَفاتِ المؤمنينَ الصّادقينَ، الّذينَ نَذروا أَرْواحَهم للّه تَعالى، فأَطاعوه في تَلْبيةِ منادي الجِهادِ أَوّلًا، وفي عَدَمِ الشُّربِ مِنَ النَّهَرِ ثانيًا، وفي الثَّباتِ أَمامَ جَبَروتِ جالوتَ وجنودِه، وعَدَدِهم وعُدَّتِهم ثالثًا.

وعبَّر بالظَّنِّ دون اليقين؛ لأنَّ ذكرَ الظَّنِّ فيه تعريضٌ بمن لم يتيقَّن، وفيه مزيدُ مدحٍ للمؤمنين، أي: إذا كان هذا ظنُّهم فما بالك بيقينهم؟!

إيثارُ التَّعبيرِ باسم الفعل: ﴿مُّلَٰقُوا۟﴾ دون الفعل: (يلاقوا):

عبَّر باسم الفاعل في قولِه تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾ دون الفعل المضارِع؛ لأنَّ ظنَّهم قائمٌ على الملاقاة الثَّابتةِ الآتيةِ؛ فَظَنُّ المؤمنين بمُلاقاة الله ثابتٌ دائمٌ: لا يَنْفَكُّ عنهم.

إيثارُ التَّعبيرِ بعنوانِ الألوهيّة دون الرّبوبيَّة:

المناسِبُ لمَشْهدِ القِيامةِ التَّعبيرُ بالألوهيّةِ

جاءَ التَّعبيرُ في قولِه تعالى: ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾ بلفظ الجلالة، دون لفظ الرُّبوبيَّة، ذلك أنَّ الحديثَ عن لقاء الله تعالى يوم القيامةِ فيما يَعْتَقِدُونَهُ، وهو مقامٌ قائم على الجلال والهيبةِ

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 6/513.

والحسابِ والجزاء، فناسب أن يكون بعنوانِ الألوهيَّة، وهو من كلامِ الله تعالى في وصف اعتقادِهم وظنِّهم.

ويُضافُ إلى ذلك: أنَّ التَّعبيرَ بقوله: ﴿مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ هو الباعثُ القويُّ، والدَّافعُ للرِّضا بالقتال، والتَّضحيةِ بالنَّفْس، فالإيمانُ بلقاء الله: يجعلُ المرءَ لا يأبَهُ بالدُّنيا وما فيها، نظيرَ لقاءِ ربِّه، راضياً عنه، وذلك على القولِ بأنَّ اللِّقاء هو يوم القيامةِ.

الجِناسُ والمُقابلةُ، وَدَوْرُهما في أَدَاءِ المَعْنَى الدَّقِيقِ:

أثـرُ المـؤمـنـين الـصَّـادقـين في تقويةِ الضُعفاءِ

في قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ﴾ جِناسٌ تامٌّ، ومُقابلَةٌ بَيْنَ: ﴿فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾، و﴿فِئَةً كَثِيرَةً﴾، والمُرادُ مِنْ هَذِهِ العِبارَةِ: تَقْوِيَةُ قُلوبِ الَّذينَ قالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾، والمَعنى: أَنَّهُ لا عِبْرَةَ بِكَثْرَةِ العَدَدِ، إِنَّما العِبْرَةُ بالتَّأييدِ الإِلَهيِّ، والنَّصْرِ السَّماويِّ، فإذا جاءَتِ الدَّوْلَةُ فلا مَضَرَّةَ في القِلَّةِ والذِّلَّةِ، وإذا جاءَتِ المِحْنَةُ فلا مَنْفَعَةَ في كَثْرَةِ العَدَدِ والعُدَّةِ[1]، وفيها تَحْريضٌ عَلَى القِتالِ، واسْتِشْعارٌ لِلصَّبْرِ واقْتِداءٌ بِمَنْ صَدَّقَ رَبَّهُ[2]، والمَعْنى: أَنّا لا نَكْتَرِثُ بِجالُوتَ وجُنودِهِ، وإِنْ كَثُروا، فإنَّ الكَثْرَةَ لَيْسَتْ سَبَبًا لِلانْتِصارِ، فكَثيرًا ما انْتَصَرَ القَليلُ عَلَى الكَثيرِ، ولَمّا كانَ قَدْ سَبَقَ ذَلِكَ في الأَزْمانِ الماضيَةِ، وعَلِموا بِذَلِكَ، أُخْبِروا بِصيغَةِ: ﴿كَم﴾، المُقْتَضيَةِ لِلتَّكَثُّرِ[3]؛ إِذْ دَلَّتْ ﴿كَم﴾ الخَبَريَّةُ عَلى الكَثْرَةِ، والمعنى: قَدْ وقَعَ كَثيرًا في الماضي انْتِصارُ القِلَّةِ المؤمنةِ عَلى الكَثْرَةِ الكافِرَةِ، بِأَمرِ اللهِ تَعالَى، وإِذْنِهِ وتَوْفيقِهِ.

نُكتَةُ المُبالَغةِ في الـرَّدِّ عَـلى القَائِلِين بِعَدَمِ الـطَّـاقَـةِ عَـلَى القِتَالِ

نكتةُ العدولِ في الجوابِ:

عدلَ النَّظم عن كلام القائلين: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ فرُوعيَ في جَوابِ القائِلينَ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 6/513.
(2) القرطبيّ: الجامع لأحكام القرآن: 3/255.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/591.

فِئَةَ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ نُكْتَةٌ بَديعَةٌ، حَيْثُ لم يقُلْ: (أَطاقَتْ بِفِئَةٍ كَثيرةٍ)، حَسْبَما وقَعَ في كَلامِ أَصْحابِهم، وذَلِكَ مُبالَغَة في رَدِّ مَقالَتِهم، وتَسْكِينِ قُلوبِهم، وهَو جَوابٌ ناشِئٌ مِنْ كَمالِ ثِقَتِهم بِنَصْرِ اللّهِ تَعالى وتَوْفيقِه، أو الاستشهاد ولقاءِ اللّه تعالى يوم البعث.

إيثارُ التَّعبيرِ بفئةٍ دون جماعةٍ أو فريقٍ:

الإشـــارةُ إلى أثـر الـتَّـعـاونِ والمـسـانـدةِ في النَّصرِ

عُبِّر بفئةٍ في قولِه تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ لأنَّ الفِئَةَ مأخوذةٌ من الجماعة الّتي يَفِيءُ بعضُها إلى بعضٍ، كما هو في القتال، قال تعالى: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ [الأنفال: 16] وهي: الّتي يُعاوِنُ بعضُها بعضاً، ففيها معنى المساندةِ والمُعاوَنةِ، وهو المناسِبُ لأمر القتال.

ويمكنُ أنْ يُقالَ: سُمِّيت بفئةٍ لأنّها انشقَّتْ عن الّذين شربوا من النَّهر، فهي مأخوذةٌ مِنْ قولهم: فَأَوْتُ رأسَه بالعَصا، أيْ: شَقَقْتُهُ، وفيها معنى القُوَّةِ، وهو أيضاً يُناسِبُ مَقامَ الحرب.

الـــفـــرقُ بـين الـفـئـتـين قـائـمٌ على الإيمانِ

وعبَّر في المقابل بفئةٍ كذلك لبيانِ أنَّ العدوَّ متآزرٌ متعاونٌ، وأنَّ التَّعاون القائمَ على أمرِ اللّه تعالى هو الذي يقودُ أصحابه إلى النَّصر، فليس كلُّ تعاونٍ مؤدِّيًا إلى النَّصر، وإنَّما هو المتعلِّق باللّه تعالى، وفيه فائدةٌ عظيمةٌ وهي أنَّ العملَ يجب أن يقوم على جانبين: أحدهما مادِّيٌّ، والآخر: معنويٌّ، فإيمانٌ دونَ عملٍ تواكلٌ، كما أنَّ العمل من غير إيمان لا يُنْتَفَعُ بِهِ في الدُّنيا أو الآخرة.

فائدةُ التَّعبير بأداةِ كم الخبريّة:

تثبيت المؤمنين مـــن خـــلال الاعتبارِ بالسَّابق

عُبِّرَ بأداةِ ﴿كَم﴾ الخبريَّة؛ لتَثْبيت المؤمنين أنفسَهم، وتثبيتِ رفقائِهمُ الّذين قالوا: لا طاقةَ لنا اليومَ بجالُوتَ وجنودِه، والمقصودُ: ليستِ العِبرةُ بالكَثْرة في العَتاد والعُدَد؛ إنّما العِبرةُ بالتّأييدِ الإلهيِّ، فكثيرًا ما انتَصَرَ القليلُ على الكثير، وهذا واقعٌ في الأزمان الماضية.

وفيه إشارةٌ إلى جَواز قتالِ القليلِ للْكثيرِ، وهذا ما ذَكَرَهُ القرآنُ الكريمُ في قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنفال: 65].

إيثارُ التّعبيرِ بقوله: ﴿غَلَبَتْ﴾:

قـانـونُ الغلبةِ مرتَهنٌ بالفئةِ لا بعددها

جاءَ التَّعبيرُ بالفعل: (غَلَبَ) دون غيره؛ لكسرِ المتوقَّع، فإنَّ المتوقَّع أنْ تَغْلِبَ الكَثْرَةُ القِلَّةَ، لا العكس، ولم يقل: (انتصرت)، لدفع توهم أنَّ الفئة لم تستعدّ، وأنَّ النَّصرَ جاءهم من غيرِ عمل، ولبيانِ أنَّ الغلبةَ لا علاقةَ لها بكثيرٍ أو قليلٍ، وإنما هي مرتبطةٌ بقوانين ماديّة ومعنويّة وعلى رأسها الإيمان؛ فالفئة تغلب الفئة، بقطع النظر عن العددِ، كثرةً وقلَّةً.

فائدةُ القيدِ: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾:

الإذن الإلـهـيُّ مفتاحُ كلِّ نصرٍ

جاء التَّعبيرُ ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ دون أنْ يقولَ: بعِلْمه؛ لأنَّ الإذْنَ أَخَصُّ، فلا يُستعمَلُ إلّا فيما فيه مَشيئةٌ ما، ومعلومٌ أنَّ أمرَ الغَلَبَةِ يكون بمشيئته وأمْرِه، وذلك لأنَّ اللّه أوْجَدَ في الإنسان قوَّةً، فيها إمكانُ قَبول الضَّرَرِ من جهة مَنْ يَظْلِمُهُ فيضرُّه، ولا خلافَ في أنَّ إيجادَ هذا الإمكانِ مِنْ فعل اللّه تعالى[1]، وعلى هذا: فَغَلَبَةُ العدوِّ تكون بإذنه ومشيئته، وفيه إشارةٌ: إلى أنَّ اللّه إذا أَذِنَ بنَصْر عبادِه الّذين خرجوا مع طالُوتَ، فلا مانعَ مِنْ وُقوعه؛ لأنّه غالبٌ على أمره.

وفيها إشارةٌ ودعوةٌ إلى طلبِ الإذنِ من اللّه تعالى للنَّصرِ على جالوت وجنودِه، وأنَّه مفتاح كلِّ نصر، وفائدةٌ أخرى حسنةٌ وهي أن لا يظنَّ أحدٌ أنَّ الغلبةَ ذاتيَّة، فقيد: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ نصٌّ في أنَّها من اللّه تعالى.

بلاغةُ الفاصلةِ القرآنيَّة:

وقوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ يَعْني: أَنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ الصّابِرينَ،

(1) الرّاغب، المفردات: (أذن).

التَّحْرِيضُ على الصَّبْرِ

إذا صَبَروا على طاعته، وما يُزْلِفُ عِنْدَهُ[1]، وفي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَٱللَّـهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ تَحْريضٌ عَلَى الصَّبْرِ في القِتالِ، فإنَّ اللَّه مَعَ مَنْ صَبَرَ لِنُصْرَةِ دينِه، يَنْصُرُهُ ويُعينُهُ ويُؤَيِّدُهُ، ويُحْتَمَلُ أَنْ يَكونَ مِنْ تَمامِ كَلامِهِمْ، ويُحْتَمَلُ أَنْ يَكونَ اسْتِئْنافًا مِنَ اللَّه[2].

مُنَاسَبَةُ الفَاصِلَةِ لِمَعْنَى الآيَةِ

جاءَتِ فاصِلَةُ هَذِهِ الآيَة، وهي قَوْلُهُ: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ مُناسِبَةً لِسياقِ القِصَّةِ فيها، إِذْ حَكَى قِصَّةَ خُروجِهِم مَعَ طالُوتَ للجِهادِ والقِتالِ، ومُعاناةِ السَّفرِ ومَشاقِّه، والنَّهَرِ والابْتِلاءِ بِمَنْعِ الشُّربِ مِنْهُ، مَعَ صَفاءِ مائِهِ وعُذوبَتِه، وشِدَّةِ ظَمَئِهِم وتَشَوُّفِهِم، وهيَ أَحْداثٌ تَتَطَلَّبُ صَبْرًا كَبيرًا، وإيمانًا راسِخًا، وهِمَّةً عاليَةً لِتُحْتَمَلَ، فناسَبَ اخْتِتامَ الآيةِ بِحُسْنِ عاقِبَةِ الصَّبْرِ، وهي مَعيَّةُ اللهِ الدّائِمَةُ، ومَنْ كانَ اللهُ مَعَهُ فلَنْ يَضُرَّه شَيْءٌ، ويُؤَيِّدُ هَذا: أَنَّ الوَقْفَ عَلى ﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ وَقْفٌ تامٌّ[3]، لِتَمامِ المَعنَى.

مَعيّة الله للصّابرين سبيلُ نصرِهم

عبَّر بالمَعِيَّةِ في قولِه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ لأنَّها تَستلزِمُ الحُبَّ، فلا معيَّةٌ خاصَّةٌ مِنْ غير حُبٍّ، ولأنَّ المَقام هنا في القتال والمجاهدة، وهذا يقوِّي المؤمنين في قتالهم، حينما يُدركون أثرَ هذه المعيَّةِ، وممّا يُؤكِّدُ ذلك: ما ذكرَه القرآنُ الكريمُ في غزوة بَدْرٍ مِنْ معيَّته سبحانه، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ﴾ [الأنفال: 12]، وفي هجرة رسول الله ﷺ، ومَعَهُ صاحبُه في الغارِ، قال تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 40]، ومِثْلُ ذلك أيضاً في مَقام موسى مع فِرْعونَ، قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: 46]، فكانتِ المَعيّةُ خيرَ سلاحٍ، في النَّصر والتَّثبيت في مثل هذه المواقف.

(1) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/332.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/592.
(3) الأنصاري، المقصد لتلخيص ما في المرشد: ص: 40.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 4 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-55-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 4 : سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-55-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»